

حلم

رأيت فيما يرى المائتم أننى فى صالة مطار ، وحولى حشد كبير من المسافرين ، ونحن ننتظر النداء الأخير للصعود إلى الطائرة . وبينما أنظر فى الوجوه رأيت وجهها الذى يضئ أكثر من أى امرأة رايتها فى حياتى . كانت فى حوالى الأربعين . وشعرها المنسدل على كتفها فى سواد الليل .

أما عيناها فكانتا تشعان ببريق صاف فريد . اقتربت منها بهدوء ، وسلمت عليها فردت بكل لطف . سألتها عن وجهها فتبين أنها هى نفس وجهتي . استأذنتها فى الجلوس فسمحت بترحاب . بدأ الحديث عن السفر والطائرات ولما أدرى كيف تحول بسرعة إلى طفولتى وطفولتها ، ومدرستى ومدرستها ، وبعض عاداتى وعاداتها .. التوافق عجيب ، والمتجاوب الروحى أعجب . وفجأة سألتها : متزوجة ؟ — كنت . والآن : مطلقة . قلت بصوت أعلى : الحمد لله . رمقتنى باستغراب ، وقبل أن تختفى دهشتها تماما ، سألتها : هل تقبلين الزواج منى ؟ أجابت : لكنك لم تعرفنى بعد . قلت لها : إن مثلك لا ينبغى لأحد أن يطيل التفكير لمعرفتها . وعلى الفور ارتسمت على وجهها ابتسامة ملأت كل وجهها . قلت : سأعتبر هذه موافقة ، لكننى أحب أن أسمعها منك ؟ قالت بصوت خفيض جدا : وأنا أوافق . أحسست ساعتها أن الدنيا كلها تبسم لى من جديد ، وأن الحياة تفتح لى إحدى صفحاتها المشرقة ، وأن زمن العذاب والوحدة والحرمان فى ليالى الشتاء الكثيبة قد انتهى ..

وعندما أعلن ميكرفون المطار ضرورة توجه المسافرين نحو الباب المؤدى للطائرة ، ساعدتها فى حمل حقيبتها ، ومشيت أمامى حتى وصلنا إلى المضابط الذى يفحص التذاكر وجوازات السفر . سلمت له أوراقها فنظر فيها بسرعة ، وحياتها باحترام شديد. لاحظت أنها تحمل جواز سفر دبلوماسى ، فأدركت أنه ذات وظيفة مرموقة . أما أنا فقد رمقنى المضابط بنظرة كلها حقد وغضب ، وقبل أن ينظر فى أوراقى قال لى :

— أنا لن أسمح بمرورك .

— لماذا ، والتذكرة سليمة ، والجواز صالح لمدة طويلة ؟!

— لكننى قررت ألا أسمح بمرورك .

ياإلهى .. هل هذا المنع لسبب يتعلق بى ، أم الحسد والغيرة من وجودى معها ؟؟

ولم تنجح كل محاولتى فى الرجاء والماستعطاف مع المضابط الذلى أصر على رفضه ، ولم يبق فى إمكانى إلا أن ألوح لها وهى تبتعد ، تاركة وراءها قلبا يتمزق ، وصراخا لا يسمع له صدى !

و صحويت من النوم لأجد فى حلقى طعام الحلاوة المركزة من لقاء هذه السيدة المفريدة من نوعها ، وطعم المرارة الحادة من تعنت هذا

المضابط معى ، لكننى ظلمت لعدة أيام مستمتعا باستعادة صاحبة هذا الوجه الجميل ، والسلوك الراقى ، ومحاولا نسيان أو تناسي صاح
ب الوجه الكتيب الذى حرمنى منها .
